

اثار البتراء

مدينة منحوتة في الصخر

كانت البتراء الى عبد فرب مدينة مطوية في صدر اليبدا لصعوبة الوصول اليها . اما الآن فقد صار في استطاع السائح ان يصل اليها بالسكة الحديدية وبيارة فورد . ياتر من القدس الي نهر الاردن بالبيارة ثم يجتازها على جسر (كبري) . يدعى جسر النبي الى عمان عاصمة امارة شرق الاردن . ومنها ياتر بسكة الحديد الى عمان فيصلها في ثمان ساعات الى عشرة . ومن عمان يمتطي جملًا او حصانًا الى البتراء فيصلها في نحو ٦ ساعات . وقد زارها حديثًا المترشبتون عضو الجمعية الملكية الجغرافية ببلاد الانكليز فكتب عنها فصلاً شائقاً في مجلة الدسكثري فاعدنا بعض ما كتبناه عنها في المتطف منذ ٣٠ سنة وشفصناه بمقتضيات من مقالتي في وصف اعظم آثارها ليرى ابننا الشرق ان اطراف بلادهم المحسوبة الآن قفاراً ومفاوز كانت غاصة بالسكان وكان فيها مدن ضخمة تزدهر غارات اليونان والرومان وان ما صلحت له منذ مئات الاعوام تصليح له الآن اذا بفلت الحمة في اعادة العمران اليها . قلنا :

«على منتصف المسافة بين ابلة وبجيزة لوطقبر حرون وعين موسى حيث يقال ان هرون اخا موسى مات ودفن وان موسى ضرب الصخرة فشقاها وخرج الماء منها لتيا تي اسرائيل . وهناك منفرج بين جبال الشراة فيد آثار مدينة قديمة كانت يحط القوافل بين بلاد فارس وبلاد مصر وبين الهند والبحر المتوسط وهي التي سميت في التوزاة صالح وصماها اليونان والرومان بترا ولعلها البتراء الزاردة في ما ذكره ابن هشام عن غزوة النبي لبي لحيان حيث قال انه سلك على غراب جبل يناحية المدينة على طريقه الى الشام ثم على مخيض ثم على البتراء . وظن بعضهم انها هي الرقيم التي ذكرها ابو الفداء حيث قال ومن الاماكن المشهورة بالشام الرقيم وهو بلدة صغيرة بقرب الملقاء ويومتها كلها منحوتة من الصخر كأنها حجر واحد ، ولكن ذلك بعيد لبعده الملقاء عن جبال الشراة

« ومعنى البتراء باليونانية الصخر او الجندل وهذا معنى صالح اسمها بالعبرانية . ومعنى صالح بالعربية الشق في الجبال . ومن الغريب ان منفرج الجبل الذي يوصل به الى اطلالها يسمى الآن شقا كأنه مرادف لاسمها العبراني

« وكانت البتراء للادوميين ثم تقلب عليها النبط جاؤوها من العراق العربي وكانوا اهل حضارة وتجارة ولفتهم كالارامية بحروفها كالحروف انكوفية والمظنون ان الحرف الكوفي مشتق منها . وجاء في التواريخ القديمة ان انثيونس احد قواد الاسكندر المكدوني الذي توفي سنة ٣٠١ قبل المسيح بعث حملتين على النبط في بتراء بعد ما استولى على سورية وفلسطين الاولى بقيادة قائد اسمه اثينوس فهاجم بتراء سنة ٣١٠ قبل المسيح ورجلها غاليون عنها في سرق عمومية وعثم منها غنيمة وافرة من المر واللبان وخمس مائة وزنة من الفضة ولما عاد اهلها ورأوا ما حل بهم اقتنى اثرة ثمانية آلاف منهم ويثوه وقتلوا اكثر رجاله . والحملة الثانية بقيادة ابنه ديمتريوس وبلغ خبره النبط فاستعروا عليه ولم ينلهم منه مكروه

« وذكر سترابون المؤرخ النبط في ايام اغسطس فيصر فقال ان عامتهم بتراء وقد سميت بذلك لان النخور تحيط بها من كل ناحية وفيها مياه غزيرة لسقي باتينها . واكثر الارض حولها قفار ولاسبا في ما يلي اليهودية . وكان تجار الهند والعرب يأتونها ببضائعهم وينقلونها من هناك الى العريش وزادت هذه التجارة في ايام الرومان فاخطوا طريقا لها من ابله الى بتراء فدمشق وطريقا اخرى من بتراء الى اورشليم ومعتلان وثور الشام

« واتي الفيلسوف اينا داورس صديق سترابون الى بتراء واستوطنها مدة ورأى فيها كثيرين من الرومانيين وغيرهم من الغرباء وكانوا مستوطنين فيها

« وذكروا بلينيوس في القرن الاول المسيحي وقال ان النبط يكتنون مدينة اسمها بتراء في وادي اقل من ميلين اناسا تحيط بها جبال لا تملك وفيها نهر جار

« وقال يوسيفس ان الاسكندر ملك اليهود حارب عبيد ملك العرب (سنة ٩٣ قبل المسيح) وكان عبيد قد اقام له كنيان في وعمر المسالك في الجولان فدخل الاسكندر واديا عميقا هو ورجاله ولم ينج منه الا بشق الانفس

« ثم ذكر كنيان اسيلاموك النبط على دمشق فقال ان انطيوخس آخر ملوك السلوقيين قصد الحارث ملك بتراء فابعد الحارث من وجهه اولاً الى حيث تمكنت البلاد من حاجزته ثم انقلب عليه بقتة بعشرة آلاف فارس من فرسانه فكاد جنود انطيوخس يونون الادبار ورأى منهم ذلك فاسرع الى لم شعثهم وتشديد عزائمهم فاصابته ضربة قضت عليه وتفرق شمل رجاله بعده وانهمز الذين نجوا منهم الى قرية قانا فماتوا جوعاً . وكان اهلها دمشق يكرهون بظلميوس فدعوا الحارث ملك العرب وملكوه عليهم

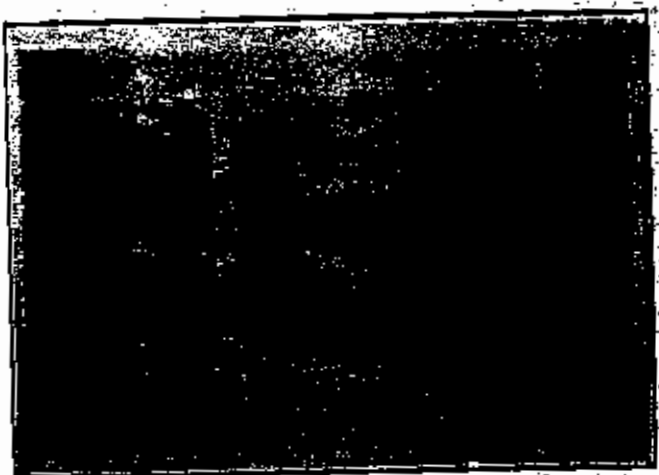




خزينة ارضون في البتراء

مقتطف مارس ١٩٢٦

الامام الصفحة ٢٩٩



الدرافغ المماري كاتراة في مقبرة الابر مخير باسوان

والصد اسطرابية الشكل

مقتطف مارس ١٩٢٦

النظر الصفحة ٣٠٢

« وخضعت بتراء للرومانيين في عهد تراجنس في اوائل القرن الثاني للمسيح ومماها سكانها باسم ادريانس اكراماً له وصبروا تقوهم باسمه. ثم ذكرت في القرن الرابع والخامس والسادس وحضر مطرانها جرمانوس المجمع السلوقي سنة ٣٥٩ . ومطرانها ثيودورس في المجمع الاورشليمي سنة ٤٣٦ ولم يبق منها الا الآن الا شيئا من مداخلها وهيكلها وكلها مخرقة في الصخر على جانبي الوادي وهي من اعجب ما صنعه الناس »

وقال المستر شيبسون: آثار البتراء فريدة بين عجائب الشرق وبغايا الحضارات البائدة. تجدد في خرائب بعلبك وتدمر انتفاخا من الآثار الفخمة ولكنك تجد في البتراء « الساكنة في صحاري الصخر » على ما جاء في سفر النبي عوبديا هياكل وسارج ومقابر ومنشآت لم تلتها يد الفناء باذى وهي لا تزال حافظة للروني الذي كانت عليه يوم فُتحت من الصخر هذه الآثار تدهش السائح بتعدد ما يراه فيها من اساليب البناء عند القدماء قبرى في الآثار القديمة منها مزيجاً من الفن البتراوي والفن المصري واما المنشآت التي تطلوها في القدم فتبها آثار للفن اليوناني والفن الروماني

المرفق من معان الى البتراء شاق فير السائح تحت جبل هرون الذي سمى كذلك لان هرون مات هناك حسب خرافات البدو وقبل الوصول الى الآثار يمر في مضيق يدعى الشق يختلف ارتفاع جانبيه من ٢٠٠ قدم الى ٥٠٠ قدم ثم يدخل وادياً هو موقع مدينة بتراء فتحييه من كل جانب منشآت عظيمة معمدة مخرقة في الصخر

هذا الوادي طوله نحو ثلاثة ارباع الميل وعرضه يختلف من ٥٠٠ ذراع في الطرف الواحد الى ٢٥٠ ذراعاً في الآخر . والجبال المحيطة به تجعله كمش السرق في شامخ انقسم منبع الجوانب لا تطاله غارات الاعداء . هذه الناعة وكون المدينة التي نشأت هناك من اكبر محطات القوافل السائرة بين البحر الاحمر وشمال سورية جعلها من اعظم المدن في ذلك العهد

تجد عند مدخل الوادي ما سمى خزنة فرعون وهي من عجائب المشرق ومن احدث منشآت البتراء اذ يقال ان الفضل في انشائها يعود الى الامبراطور هدريانوس الذي زار هذه المدينة سنة ١٣١ ب . م . وانشأ فيها هيكلًا للالهة اريس . والصخر الذي فُتحت منه وردى اللوث وهي لا تزال سليمة قائمة بجدونها واعمدتها وقوسها . تألفت واجبتها من صفيين من الاعمدة احدهما فوق الاخر في كل صف منها ستة اعمدة يشها عمادع شعري قابل مخرقة من الصخر ايضا . والعمودان اللذان بتوسطان الصف العالي

مثال مصر في كل في اعلاء قارورة يتول العرب انها تحوي كنوز فرعون . وارتفاع خزنة فرعون هذه سبعون قدماً ولها باب مزخرف بالنقوش يدخل منه اى غرفة مساحتها نحو مائة قدم مربعة حاوية من الزخارف . وهناك ثلاث غرف اخرى اصغر منها

ويرى السائح على الجانب الايسر من الوادي مسرحاً مدرجاً في نصف دائرة منحوتة درجاته في الصخر يكتفي لجلوس ثلاثة آلاف وعلى مقربة منه كثير من الاعمدة والمدافن التي تختلف في حجمها كما تختلف في اسلوبها الفني

واكبر خرائب البتراء اذا صح ان ندعوها خرائب هيكل يعرف « بالدير » وهو يشبه خزنة فرعون في هندسته علوه نحو ١٥٠ قدماً وطوله كذلك تقريباً بمولف من ضفين من الاعمدة احدهما فرق الآخر

وفي جانب الوادي الايمن او الغربي آثار قصر يدعى قصر فرعون ولا ريب في انه كان هيكلًا لاننا رأينا فيه مذبحاً ووراءه سلم منحوتة في الصخر تؤدي الى قمة اكمة حيث مكان الذبايح ترى مذبح وبركة لئام وفناءً فسيحاً كلها منحوت في الصخر

اما المدافن في البتراء فلا يقل عددها عن ٨٠٠ مدفن . وقد اكتشف السير الكسندر كندي مدافن جديدة لم تكن معروفة قبلاً وعندى انه اذا جرى البحث في هذه البقعة على اسلوب علمي دقيق ووجدت مدافن اخرى . بعض هذه المدافن تحت الانباط والبعض الآخر تحت اليرنات والرومان ومن انعمها مدفن يدعى « مدفن القارورة » وهو عشر غرف كلها فارغة الآن ومساحة اكبرها ٦٠ قدماً مربعة . وهناك مدفن يعرف بمدفن الحاكم دُفن فيه سكس فلورنتيئس احد حكام البتراء من الرومان . وهو اشبه بهيكل منه مدفن فيه اعمدة مستديرة واخرى مربعة وقائيل وعلوه لسر باسط جناحيه

وقد كان يجري في هذا الوادي نهر ولكنه غاض الآن ولا تزال اثار الجسور (الكباري) التي كانت تصل بين ضفتيه ماثلة للعيان . وهناك آثار نفق شعث في الصخر عند مدخل الشق كان سكان البتراء يبرون فيه مياه النهر حين فيضانه . وقد كان طول هذا النفق ٣٣٠ قدماً وعلوه ١٩ قدماً ونصف قدم وعرضه ١٦ قدماً ونصف قدم . كذلك يستطيع الباحث ان يرى آثار فناطر المياه التي كانت تحمّر بها مياه الشرب وقد كان لهذه الفناطر مدخل مزخرف كعبرس نصر نقشت عليه قوائيل وصور تجعله من ابداع الآثار والنحما